الخليقة والسُّقوط

السبت بعد الظهر

المراجع الأسبوعية: تكوين ١: ٢٦، ٢٧؛ ١يوحنا ٤: ٧، ٨، ١٦؛ تكوين ٣: ١٦-١٩؛ تكوين ١١: ١-٩؛ غلاطية ٣: ٢٩؛ تثنية ٧: ٦-١١.

آية الحفظ: «ثُمَّ أَخْرَجَهُ إِلَى خَارِجٍ وَقَالَ: «انْظُرْ إِلَى السَّمَاءِ وَعُدَّ النُّجُومَ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعُدَّهَا». وَقَالَ لَهُ: «هكَذَا يَكُونُ نَسْلُكَ». فَآمَنَ بِالرَّبِّ فَحَسِبَهُ لَهُ بِرًّا» (تكوين ١٥: ٥، ٦).

تبدأ قصَّة شعب الله بخليقة الجنس البشري وسقوطهم المأساوي في الخطية. إنَّ أي مُحاولة لِفهم طبيعة الوحدة في الكنيسة يجب أن تبدأ بخطَّة الله الأصلية عند الخليقة، ثم الحاجَة إلى الإسترداد بعد السّقوط.

تُظهِر الأصحاحات الأولى من الكتاب المقدَّس أنَّ الله قَصَدَ أن تبقى البشرية عائلة واحدة. ولكن مع الأسف، هذه الوحدة إنفصمت بعد مأساة الخطية. في الخطية وحدها نبتت جذور الشِّقاق والإنقسام، والمزيد من النتائج الكريهة والوخيمة للعصيان. يُمكن أن نرى لمحة من هذا الإنقسام في المواجهة المُباشرة بين آدم وحوَّاء عندما أقبل الله عليهما لأوَّل مرَّة بعد أن أكلا من الشجرة المُحرَّمة (انظر تكوين ٣: ١١). وبالتالي، أصبح إسترداد هذه الوحدة الأصلية هدفًا أساسيًا من بين الأهداف الأخرى التي تحققها خطَّة الخلاص.

إبراهيم، أب شعب الله، صار لاعبًا أساسيًا في خطَّة الله للخلاص. يُصوِّر الكتاب المقدس إبراهيم كمثال عظيم للبر بالإيمان (أنظر رومية ٤: ١-٥)، ذلك الإيمان الذي يُوحِّد شعب الله بعضهم مع بعض ومع الله نفسه. يعمل الله من خلال الناس لإعادة الوحدة وليُعلِن إرادته للجنس البشري الساقِط.

* نرجو التَّعمُّق في موضوع هذا الدرس، استعدادًا لِمُناقَشته يوم السبت القادم الموافق ٦ تشرين الأول (أكتوبر).

المحبَّة أساس الوحدة

تُقدِّم قصَّة الخليقة الواردة في الأصحاحين الأول والثاني مِن سفر التكوين، رسالة واضحة عن الإنسجام والتَّناغم في نهاية إسبوع الخليقة. كلمات الله الختامية بأنَّ كل ما عمله كان «حسن جدًّا» (تكوين ١: ٣١) لم تكن تُشير إلى جمال الخليقة فقط، بل تُشير أيضًا إلى غياب أي عامل مِن عوامل الشر والإنقسام عندما أكمل الله خلق هذا العالم والجنس البشري الذي سيسكن الأرض. كان قصد الله الأصلي في الخليقة هو أن يسود الإنسجام في علاقات التَّعايُش والتَّرابُط بين كل أشكال الحياة. كان عالمًا جميلًا خُلِقَ مِن أجل العائلة البشرية. كل شيء كان كاملًا ومُستحق لرضى وإستحسان خالقه. كان هدف الله الأصلي والأسمى للعالم هو الإنسجام والوحدة والحُب.

اقرأ تكوين ١: ٢٦، ٢٧. ماذا تقول لنا هذه الآية عن تميُّز الإنسان مُقارنة مع باقي الخلائق الأرضية، كما ورد في سفر التكوين الأصحاحين الأول والثاني؟

يقول سفر التكوين بأنَّ الله خلق الإنسان على صورته، وذلك شيء لم يرد قوله بخصوص أي شيء آخر في قصَّة الخليقة المذكورة في سفر التكوين. «وقال الله: ‹نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا...› فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكرًا وأنثى خلقهم» (تكوين ١: ٢٦، ٢٧). مع أنَّ اللاهوتيين تجادلوا على مدى قرون حول طبيعة تحديد هذه الصورة بدقَّة، وطبيعة الله ذاته، فإنَّه يوجد الكثير من المقاطع في الكتاب المقدس تُظهِر طبيعة الله بأنَّها المحبَّة.

اقرأ ١يوحنا ٤: ٧، ٨، ١٦. كيف يمكن أن تُساعدنا هذه الآيات لنفهم كيف خُلِقْنا أصلًا وكيف يمكن أن يكون هذا قد أثَّر على الوحدة الأصلية التي سادت عند الخليقة؟

الله محبَّة، ولأنَّ البشر أيضًا في مقدورهم أن يُحبُّوا (وبطرق لا يمكن للمخلوقات الأرضية الأخرى أن تُمارسها)، فكوننا خُلِقنا على صورة الله، يجب أن يشمل ذلك القُدرة على المحبَّة. مع ذلك، فالمحبَّة توجد فقط في علاقة الإنسان بالآخرين. وهكذا، فكل ما خُلِقَ على صورة الله، يجب أن يكون له القدرة على المحبة، والمحبَّة بِعُمق.

عواقِب السقوط

كانت عواقِب السقوط وخيمة. عصيان آدم وحوَّاء بدأ في تمزيق الإنسجام الموجود في التَّعايش والتَّرابط بين كل أشكال الحياة. والأسوأ من ذلك، بدأ الشِّقاق والخلاف والإنقسام بين الجنس البشري الذي ما زال سائدًا حتى يومنا هذا. تظهر حالة عدم الإنسجام مُباشرة في الطريقة التي سعى بها كل من آدم وحوَّاء في إلقاء اللوم بالسقوط على طرف آخر (تكوين ٣: ١٢، ١٣). وانحدرت الأشياء إلى أسوأ منذ ذلك الحين.

اقرأ تكوين ٣: ١٦-١٩؛ وتكوين ٤: ١-١٥. ماذا يوجد في هذه الآيات مما يُظهر نتائج الخطية وتأثيرها على العالم المُتناغم الذي خلقه الله؟

أصبح عصيان آدم مصدرًا لأحداث كثيرة وعواقب وخيمة تركت آثارها بمرور الوقت على كل خليقة الله. بدأ عالم الطبيعة نفسه يُقاسي من عواقِب الخطية. العلاقات الإنسانية أيضًا تأثَّرت. قايين وهابيل كانا أخَوَين، مِن المفروض أن يُحِبَّ ويعتني أحدهما بالآخر، إلا أنَّهما انفصلا وتباعدا لأن أحدهما أراد أن يتبع ميوله الشخصية بدلًا من إتِّباع نظام الله المُحدَّد للعِبادة. هذا التَّباعد والنّفور نتج عنه العنف والموت. إنَّ ردَّ فعل قايين كان موجَّهًا نحو الله أكثر مما كان نحو هابيل. شعر بغضب تجاه الله (تكوين ٤: ٥)، وهذا الغضب قاد إلى غيظ وضغينة تجاه هابيل. العصيان زاد من تمزيق العلاقات الإنسانية.

«ورأى الرَّبُّ أنَّ شرَّ الإنسان قد كثر في الأرض، وأنَّ كل تصوُّر أفكار قلبه إنَّما هو شرير كل يوم» (تكوين ٦: ٥). قاد هذا الشر في نهاية المطاف إلى الطوفان والدَّمار الهائل لخليقة الله الأصلية التي خلَّفها الطوفان. ولكن حتى ذلك الحين، لم يتخل الله عن الجنس البشري، لكنَّه أبقى له بقيَّة، نوح وعائلته، ليبدأوا من جديد.

بعد الطوفان، أعطى الله وعدًا لنوح وعائلته. قوس القزح في السَّماء سيُذكِّرهم دائِمًا بعناية الله ووعوده، سيُذكِّرهم بلطف الله ورحمته (تكوين ٩: ١٢-١٧؛ إشعياء ٥٤: ٧-١٠). أقام الله عهدًا مع نوح، وأعاد خطَّته الأصلية لتكوين عائلة بشرية مُتَّحدة، أمينة ومُخلِصة له ولكلمته.

ما هي طرق التفرقة والإنقسام التي تجلبها الخطيَّة؟ أيَّة قرارات يمكنك إتِّخاذها الآن لتساعدك على إستعادة الإنسجام بين أولئك الذين يمكن لقراراتك أن تكون ذات تأثير قوي عليهم؟

الثلاثاء ٢ تشرين الأول (أكتوبر)

المزيد من التفرقة والإنفصال

اقرأ تكوين ١١: ١-٩. ماذا حدث هنا مما جعل مِن مُشكلة الإنفصال والشقاق أسوء مما كانت عليه؟

الأحداث التالية التي أرَّخها الكتاب المقدَّس بعد الطوفان هي بناء برج بابل، بلبلة اللغات، وثُمَّ تَشتُّت الناس، الذين كانوا إلى ذلك الوقت يتحدَّثون لغة واحدة. ربما كان جمال الأرض بين نهري دجلة والفرات وخصوبة التربة، قد جذبت بعضًا من نسل نوح ليقرروا بناء مدينةٍ لهم وبرجٍ عالٍ في أرض شنعار، في جنوب العراق الآن (تكوين ١١: ٢).

أظهر علم الآثار أنَّ بلاد ما بين النهرين كانت منطقة كثيفة السُّكَّان منذ أقدم العصور التاريخية. من بين هؤلاء السُّكَّان كان السومريون، الذين يعود لهم الفضل في إختراع فن الكتابة على ألواح الطين. لقد بنوا لأنفسهم منازل شُيِّدت بشكل جيّد، وكانوا مهرة في صنع الحُلي (المجوهرات)، والآلات، والأدوات المنزلية. كَشَفَت الحفريات أيضًا عن معابد كثيرة على شبه أشكال أبراج كُرِّست لِعبادة آلهة مُتنوِّعة.

أحفاد نوح الذين استقرُّوا في أرض شنعار سُرعان ما نسوا إله نوح والوعود التي قطعها بأنه لن يُهلك الأرض مرة أخرى بالطوفان. كان بناء برج بابل رمزًا لحكمتهم ومهارتهم. إنَّ شَغَفهم ورغبتهم في الشهرة والصيت، وقولهم: «لنصنع لأنفسنا إسمًا» (تكوين ١١: ٤)، كان أحد أهدافهم لبناء هذا المشروع. «كان على البشر، وفقًا لقصد الله، أن يُحافِظوا على الوحدة مِن خلال رباط الديانة الحقَّة. عندما حطَّمت الوثنية وتعدُّد الآلهة هذا الرِّباط الروحي، أضاع البشر — ليس فقط وحدة الدين، بل أضاعوا أيضًا روح الإخوَّة بينهم. إنَّ مشروعًا مثل بناء البرج، ليُحافظ بوسائل خارجية على الوحدة الداخلية التي ضاعت أصلًا، لا يمكن أن ينجح.» (The SDA Bible Commentary، المجلد ١، صفحة ٢٨٤-٢٨٥).

إنَّ سقوط آدم وحوَّاء حطَّم وحدة الجنس البشري وخطَّة الله الأصلية. ونتج عنه الفوضى بخصوص العبادة؛ الإنتشار الواسع للشر والفجور حول العالم؛ وفي نهاية المطاف أدَّى السقوط إلى انفصال البشر إلى ثقافات، ولغات، وأعراق كثيرة ومختلفة غالبًا ما كانت على خلاف بعضها مع بعض منذ ذلك الوقت.

أيَّة خطوات عملية يمكننا القيام بها لِمُعالجة التفرقة العنصرية والثقافية واللغوية التي تؤلمنا حتى في الكنيسة؟

إبراهيم، أب شعب الله

تنظر الدِّيانات المُوحِّدة الثلاثة، اليهودية والمسيحية والإسلام، تنظر إلى إبراهيم على أنَّه أباهم. بالنسبة للمسيحيين، هذه الشراكة هي علاقة روحية. عندما دُعي إبراهيم ليترك بلاده فيما بين النهرين، قال الله لإبراهيم: «وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض» (تكوين ١٢: ٣؛ أنظر أيضًا تكوين ١٨: ١٨؛ تكوين ٢٢: ١٨). البركة أتت من خلال يسوع.

اقرأ عبرانيين ١١: ٨-١٩؛ رومية ٤: ١-٣؛ غلاطية ٣: ٢٩. ما هي عوامل إيمان إبراهيم التي ذُكِرَت في هذه الآيات، وما صلتها بفكرة الوحدة المسيحية؟ بمعنى، ماذا يُمكن أن نجده في هذه الآيات يمكن أن يُساعدنا اليوم لنفهم ما يجب أن يكون المُكوِّن الحاسم للوحدة المسيحية؟

يُعطينا إبراهيم، كأب لجميع المؤمنين، بعض المباديء الأساسية والمحورية للوحدة المسيحية. أولًا: مارس مبدأ الطاعة. «بالإيمان إبراهيم لما دُعِيَ أطاع أن يخرج إلى المكان الذي كان عتيدًا أن يأخذه ميراثًا، فخرج وهو لا يعلم إلى أين يأتي» (عبرانيين ١١: ٨). ثانيًا: كان لديه رجاء في مواعيد الله. «بالإيمان تغرَّب في أرض الموعد، كأنها غريبة، ساكنًا في خيام مع إسحق ويعقوب الوارثين معه لهذا الموعد عينه. لأنه كان ينتظر المدينة التي لها الأساسات، التي صانعها وبارئها الله» (عبرانيين ١١: ٩، ١٠). ثالثًا: آمن بأنَّ الله سيُعطيه إبنًا، وأنَّه يومًا ما سيكون له نسل بعدد نجوم السَّماء. وعلى أساس هذه الإستجابة، برَّره الله بالإيمان (رومية ٤: ١-٣). رابعًا: وثق في خطَّة الله للخلاص. كان الإختبار الأعظم لإيمان إبراهيم عندما طلب منه الله أن يُقدِّم ابنه إسحق ذبيحة على جبل المُريَّا (تكوين ٢٢: ١-١٩؛ عبرانيين ١١: ١٧-١٩).

يصف العهد القديم إبراهيم بأنَّه خليل الله (٢أخبار الأيام ٢٠: ٧؛ إشعياء ٤١: ٨). حياة الإيمان، طاعته التي لا تتزعزع، وثقته في مواعيد الله، جعلت منه مثالًا لما يجب أن تكون عليه حياتنا المسيحية اليوم.

فكِّر في أعمالك وأقوالك خلال الأيام القليلة المُقبِلة. بأيَّة طرق يمكنك أن تسعى لتجعل كل ما تقوله أو تفعله يعكسان حقيقة إيمانك؟

شعب الله المُختار

في دعوته لإبراهيم ليكون عبده، إختار الله لنفسه شعبًا لِيمثِّله أمام العالم. هذه الدعوة وهذا الإختيار كان عملًا من أعمال محبة الله ونعمته. إنَّ دعوة الله لإسرائيل كان جوهريًا لخطَّته في إسترداد كل البشرية بعد الدَّمار والشقاق الذي حدث بسبب السقوط. والتاريخ المقدس هو دراسة لِعَمَل الله نحو هذا الإسترداد، وكان إسرائيل، شعب العهد مُكوِّن مهم في تلك الخطَّة.

حسب الآيات الواردة في سفر التثنية ٧: ٦-١١، لماذا دعى الله إسرائيل شعبه؟ لماذا إختار نسل إبراهيم ليكونوا شعبه؟

إنَّ محبَّة الله للجنس البشري هي في جوهر إختيار إسرائيل كشعب له. أقام الله عهدًا مع إبراهيم ونسله ليحفظوا معرفة الله من خلال الشعب وليأتي بالخلاص للبشرية (مزمور ٦٧: ٢). مع ذلك، فاختيار الله لإسرائيل كشعب له كان عمل محبة سامية. لم يكن لنسل إبراهيم أي مدعاة للفخر للمُطالبة بمحبة الله التي لا يستحقونها. «ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب إلتصق الرب بكم وإختاركم، لأنكم أقل من سائر الشعوب» (تثنية ٧: ٧).

إنَّه إنعكاس غريب للقيم ذاك الذي يستخدمه الله لاختيار شعبه. بينما ينظر البشر إلى القوَّة، والحكمة، والثقة بالنفس لاختيار القادة؛ إلا أنَّ الله لا يختار أهل القوَّة والبأس ليخدموه، بل الضعفاء والجُهَّال وأدنياء العالم وغير الموجود حتى لا يفتخر أحد أمامه (١كورنثوس ١: ٢٦-٣١).

ومع ذلك، أنظر إلى الإمتيازات التي كانت لهم: «كان الله يتوق لأن يجعل شعبه إسرائيل تسبيحةً ومجدًا. فقد أعطى لهم كل امتياز روحي. فالله لم يمنع عنهم شيئًا موافِقًا أو مُساعدًا لتكوين الخُلُق الكفيل بأن يجعلهم نوُّابًا عنه.

«إنَّ طاعتهم لشريعة الله كانت عتيدة أن تجعلهم معجزات للنجاح أمام أمم العالم. فذاك الذي يستطيع أن يمنحهم حِكمة ومهارة في كل أعمال الصناعة الحاذقة، كان يُمْكِن أن يظلّ مُعلِّمًا لهم، ويسمو بهم، ويرفعهم عن طريق الطاعة لنواميسه. فلو أطاعوا، كانوا يُحْفَظون مِن الأمراض التي ابتُلِيَت بها الأمم الأخرى، وكانوا يُبَارَكون بالنشاط الفكري. وكان مجد الله، وجلاله، وقدرته، تُعْلَن في كل نجاحِهم. وكانوا يصيرون مملكة كهنة ورؤساء. وقد أمدَّهم الله بكل ما يساعدهم على أن يكونوا أعظم أمَّة على الأرض» (هوايت، كتاب ‹المُعلِّم الأعظم›، صفحة ٢٨٣، ٢٨٤).

ما هي أوجه الشبه بين ما فعله الله لإسرائيل قديمًا والدَّعوة التي دعاهم بها، وما فعله لأجلنا والدَّعوة التي دعانا بها كأدفنتست سبتيين؟ أحضر إجابتك إلى الصف يوم السبت.

الجمعة

٥ تشرين الأول (أكتوبر)

لمزيد من الدرس: (هوايت، كتاب «الآباء والأنبياء»، فصل ‹الخلق›، صفحة ٤٢-٢٣؛ وفصل ‹دعوة إبراهيم›، صفحة ٢٠١-٨٠١).

إنَّ قصد الله الأصلي في خليقة الجنس البشري ينعكس أيضًا في تأسيس العائلة (تكوين ٢: ٢١-٢٤)، والسبت. السبت جُعِلَ لكل البشرية، كما أعلن يسوع بجلاء في إنجيل مرقس ٢: ٢٧، ٢٨. في الحقيقة، طبيعته الكونية ظاهرة في قصَّة الخليقة في سفر التكوين نفسه، عندما أفرز اليوم السابع، ليس فقط قبل دعوة إسرائيل ليكونوا شعب العهد، بل حتى قبل دخول الخطية. أيَّة قوَّة موحّدة كانت يمكن أن تكون للسبت لو حفظه جميع الناس! كان يوم الراحة الذي قصد الله به أن يُذكِّر نسل آدم وحواء برباطهم المُشترك معه ومع واحدهم بالآخر. «السبت والعائلة، كلاهما تأسَّسا في جنَّة عدن، ووفقًا لقصد الله فكلاهما مرتبطان ببعضهما لا ينفكَّان. في هذا اليوم، أكثر من أي يوم آخر، يمكننا أن نحيا حياة جنَّة عدن. كانت خطة الله لأفراد العائلة أن يتشاركوا في العمل والدرس، في العبادة وفي الترفيه، الأب هو قس أهل بيته، وكلًا من الأب والأم كمُعلِّمين ورفيقين لأولادهما» (هوايت، كتاب ‹Child Guidance›، صفحة ٥٣٥).

أسئلة للنقاش

١. كيف يُظْهِر خَلْقُ المرأة مِن جنب آدم، وفقًا لما جاء في قصة الخليقة في سفر التكوين، الرباط القوي والحميم الذي يجب أن يوجد بين الزوج والزوجة؟ ماذا يُخبرنا هذا عن سبب إستخدام الله، عبر كل الكتاب المقدس، تشبيه الزوج والزوجة كمثال لذلك التقارب الذي يسعى إليه الله مع شعبه؟

٢. مع أنَّ قصَّة برج بابل تُخبرنا بأنَّ تنوُّع الأعراق واللغات لم يكن جزءًا من خطَّة الله الأصلية للجنس البشري، كيف يمكننا أن نتجاوز هذه الإنقسامات اليوم؟ كيف يمكن للكنيسة أن تظل مُتَّحدة ومُنسجمة حتى وإن كانت تتألَّف من أشخاص من بلدان وشعوب ولغات مختلفة؟

٣. ما هي بعض أوجه الشبه التي وجدتها بين دعوة إسرائيل قديمًا ودعوتنا نحن كأدفنتست سبتيين اليوم؟ الأهم من ذلك، ما هي الدروس التي يُمكن أن نتعلَّمها منهم والتي يجب أن تُساعدنا لنكون أمناء لدعوتنا الإلهية في المسيح؟

مُلخَّص: خطَّة الله الأصلية عند الخليقة كان القصد منها أن تعيش البشرية في وئام ووحدة كعائلة واحدة. إلا أنَّ عصيان أبوينا الأولين تسبَّب في إعاقة خطَّة الله. مع ذلك، قام الله بدعوة إبراهيم ليؤسس شعبًا يستطيع (الله) مِن خلاله أن يُبقي وعد الإسترداد فاعِلًا بالمسيح يسوع وحده.